حمامات القسطنطينية ودورها
في المجتمع البيزنطي ٣٣٠ م ـ ١٢٠٤م

إعداد
د/ عمرو عبدالعزيز منير
مدرس تاريخ العصور الوسطى
بكلية الآداب ـ جامعة جنوب الوادي

مقدمة:

تعتبر الحمامات من المنشآت المدنية التي تكتسي طابعًا حضاريًا وعمرانيًا عريقًا، والحمامات البيزنطية من العادات التقليدية التي لم تندثر، ومن المرافق العمومية الشعبية التي مازال آثارها باقية في العديد من المدن التركية والمتوسطية، وقد تأثرت المجتمعات المتعاقبة في هذه المناطق بهذا الإرث وقامت بتطويره بما يتناسب مع احتياجاتها الدينية والاجتماعية. فبينما حصل تحوّل في الحمّامات الرومانية الضخمة التي تضم المسابح الواسعة و القاعات لممارسة الرياضة والتي تهدف إلى بناء الإنسان جسدياً لتجسيد قوة الإمبراطورية الرومانية، نجد أن الحمّامات في الدولة البيزنطية اتبعت النظام الروماني نفسه في الاستحمام[١] ، إلا أن تصميم وحجم دور الاستحمام قد تغير بشكل كبير، وظهر طراز جديد من دور الاستحمام فأصبح أصغر حجمًا إذا ما قورن بالحمام الروماني وحدثت تغييرات في الاستعمال وتقلصت قاعات الألعاب الرياضية بدءًا من نهاية القرن الرابع الميلادي واضيفت إليه حجرة لغيار الملابس لتؤدي دوراً صحياً و دينياً في المجتمع[٢]

وردت كلمة حمام في المعاجم العربية مثل " لسان العرب" الذي يعرفها بما يلي:" الحمام مشدد واحد الحمامات المبنية، وقيل الحميم من الأضداد، يكون الماء البارد ، ويكون الماء الحار، والحمة عين ماء فيها ماء حار يستشفى بالغسل منه، واستحم إذا اغتسل بالماء الحميم، وأحم نفسه إذا غسلها بالماء الحار، والاستحمام الاغتسال بالماء الحار هذا هو الأصل ثم صار كل اغتسال استحمامًا بأي ماء كان".[٣]

يرجع صاحب مختار الصحاح بأصل المصطلح إلى الحمة أي العين الحارة التي يستشفى بها الأعلاء والمرضى[٤] كما ورد الحمام عند ابن سيده باسم الديماس، وهو مشتق من الحميم، مذكر تذكره العرب وهو أحد ما جاء به من الأسماء على فعال والجمع حمامات[٥].

والحمام في الاصطلاح مؤسسة صحية اجتماعية ، وبناية عمومية تمنح الراحة والاستجمام، ومرفق اجتماعي يمنح فرص اللقاء والترفيه للرجال والنساء يقصدونه في أوقات معينة، ووسيلة لمختلف فئات المجتمع لممارسة أنشطتهم الاجتماعية[٦].

والحَمام من المؤسسات الاجتماعية التى اشتهرت بها الحضارة البيزنطية، والتى قصدها الناس بغية الاستحمام والنظافة، وذلك أنه لم يكن مألوفًا فى العصور الوسطى أن يستحم الناس فى بيوتهم، ولم توجد حمامات خاصة إلا فى القصور والبيوت الكبيرة[٧].

كما كان للحمام أهمية خاصة فى حياة البيزنطيين، فهو المكان الذى يشعر فيه الإنسان ببهجة الحياة؛ لأن الاستحمام يولد فى النفس إحساسًا بالراحة، ويحدث شعورًا بنشاط البدن والروح[٨]، فالحمام مؤسسة صحية اجتماعية ارتبط وجوده بالمدينة، فالحاجة ماسة لبناء حمامات تلبى احتياجات العامة، وغير العامة من سكان المدن[٩].

ومع تطور الحياة الاجتماعية فى مدينة القسطنطينة، أصبح الحمام شيئًا مهمًا ووسيلة من وسائل التنعم، وهذا ما جعل أحد المؤرخين يعتبر وجود الحمامات فى المدن مظهرًا من مظاهر التنعم والترف[١٠].

وقد جاء توزيع الحمامات في القسطنطينية وفق اعتبارات منها، الكثافة السكانية في أحياء المدينة وحاجة الناس إليها[١١]، حيث نلاحظ انتشار الحمامات بالقرب من الأسواق[١٢] أو في وسط المدينة وفي شرقها؛ حتى يتمكن جميع سكان المدينة من الوصول إليه[١٣]. كما اشتملت القلاع والخانات والجامعات والمستشفيات والأديرة أيضًا على بعض الحمامات أو أن تكون الحمامات قريبة من هذه المؤسسات المهمة في بيزنطة[١٤]. وقد ظهرت الحمامات الصحية، حيث أنشئت على الينابيع الكبريتية الحارة، والتي تعتبر وسيلة من وسائل الاستشفاء من بعض الأمراض مثل أمراض المفاصل والقروح والجرب وغيرها.من الأمراض التى ارتبطت بمثل هذا النوع من هذه الحمامات[١٥]. أما عن فوائد الحمام الصحية، فقد ذكرها أحد المؤرخين بأنها تذهب الحكة، والجرب والإعياء وترطب البدن، وتجود الهضم، وتشفى من الزكام والنزلات[١٦].

وخلاصة القول إن الحمام لم يعد مقصورًا على كونه مكانًا للاستحمام والنظافة، بل أصبح مكانًا للمتعة والصحة أيضًا.

بناء الحمامات فى القسطنطينة

شهدت بيزنطة قيام العديد من الحمامات العامة والتى بلغت آنذاك نحو أربعين ألف حمام[١٧]، وذلك بسبب وفرة المياه داخل المدينة[١٨] وكان من أشهر هذه الحمامات حمام زيوكسيبوس Zeuxipps في شرق القسطنطينية والتي عُرفت بكثرة التماثيل والزخرفة من الداخل، وحظيت بشهرة واسعة داخل المجتمع وارتادها عليّة القوم والسكان العاديين بل ورجال الدين والرهبان أيضًا [١٩]، إضافة إلى حمام قسطنطين

Constarrtine، الذى أنشأه الإمبراطور قسطنطين الأول Constantine I (٣٠٦-٣٣٧م)[٢٠]، وحملت إليه المياه عن طريق قناة المياه المحمولة على قنطرة فالنز Valins[٢١].

هذا كما قامت بعض الأديرة ببناء الحمامات العامة فى المنطقة المحيطة بها، وتم جلب ماء النبع الخاص بالأديرة سواء كان نهرًا أو بئرًا إلى تلك الحمامات، حيث رأى الرهبان ضرورة الاهتمام بتلك المنشآت الإنسانية التى تخدم الطبقة المفتقدة للحمامات الخاصة فى منازلها[٢٢]، فبين عامى (١٢٩٢-١٢٩٤م) قامت الأميرة ثيودورا باليولوجينا Theodora Palaiologina بوقف قطعتين من الأرض فى حى غلاطية بالعاصمة القسطنطينية لعمل حمامين للعامة البيزنطيين تراوح مساحتها بين ١٠-٣٠ موديوس (٢-٦ أفدنة)[٢٣]، ويشهد العدد الكبير للحمامات العامة- والتى شُيد أغلبها فى القسطنطينية ومدن الأقاليم- على حب البيزنطيين المدنيين الشديد للنظافة[٢٤]. أما رجال الدين فقد نادوا بالزهد والتقشف واعتبر الامتناع عن الاستحمام سلوكًا ممدوحًا بين رجال الدين، وذلك على الرغم من تشييد بعض الحمامات التى ألحقت بالأديرة[٢٥].

وعن **التصميم الهندسى** للحمام البيزنطى فإنه لم يتغير منذ العهد الرومانى إلا قليلاً جدًا، حيث كانت الحمامات الكبيرة تتميز بالفخامة الشديدة، فكانت واجهتها تزين بالأعمدة ونقوش أسطورية منحوتة. أما فى الداخل فكانت الحوائط تزين بلوحات الموزايكو المنقوشة بمشاهد مسرحية أو رياضية وصور الأباطرة والفلاسفة ونجوم على شكل آدميين، أما حمامات **زيوكسيبوس Zeuxipps** فكانت تزخر بالتماثيل التي ترجع إلى عهود قديمة. وكانت هناك أروقة تؤدى إلى حجرات تقع على جوانب القاعات

الرئيسية بالإضافة إلى حجرات للثياب بل ومراحيض أيضًا، وكان المكان الذي يتم فيه الاستحمام مستدير الشكل وتغطيه قبة مثله في ذلك مثل حمامات البخار القديمة(٢٦).

أنواع الحمام وأقسامه

أقيمت فى بيزنطة نوعان من الحمامات، **النوع الأول:** الحمامات الخاصة التى تعود لأصحاب القصور والبيوت الكبيرة، وهذه الحمامات كانت تقيمها الأسر الثرية القادرة على بنائها، حيث امتاز هذا النوع من الحمامات بالنظافة وصلاحيتها الصحية(٢٧).

أما **النوع الثانى:** من الحمامات فهى الحمامات العامة التى تنقسم إلى قسمين، قسم خاص بالرجال، وأخر بالنساء، ويبدو أن الحمام الواحد استخدم من قبل سكان المدينة فترتين الأولى للنساء والثانية للرجال(٢٨).

ومن الملاحظ أن البيزنطيين كانوا يذهبون إلى الحمامات العامة ثلاث مرات أسبوعيًا(٢٩)، وخاصة المرضى الذين رغبوا فى إزالة الأدران عن أجسادهم(٣٠)، أما النساء فكان يسمح لهن بدخول الحمامات العامة فى ساعات معينة من اليوم(٣١)، كما حدد لهن يوما الأربعاء والجمعة من كل إسبوع(٣٢)، وكن يذهبن وهن يحملن معهن أوعية الاستحمام مثل الأباريق(٣٣).

وكما سبق القول إن حب الاستحمام شهد إقبالا عند البيزنطيين حتى أن الناس في القرنين الخامس والسادس الميلاديين كانوا يستحمون عدة مرات في اليوم، بل أن هناك من رجال الكنيسة أنفسهم من اعتاد على ذلك وهى عادة قد أدانها الأطباء، إلا أنه ابتداءً من القرن الثامن الميلادى كان هناك رد فعل ضد كثرة

الاستحمام، وقد كان لزيادة التقشف والزهد أثر كبير في إبراز هذه الحركة، وكان الامتناع عن الاستحمام يعد سلوكًا ممدوحًا وذلك على الرغم من أنه كان يتم تشييد حمامات داخل الأديرة. وعلى كل، فقد بلغت عدد مرات استحمام البيزنطيين ما بين ثلاث وثمان مرات في الشهر تبعًا للموسم، وكان من المفضل الاستحمام حوالي الساعة الثامنة أو التاسعة صباحًا. أما النساء فكن يأخذن حمامهن في الساعة العاشرة فقط(٣٤).

نلاحظ أيضًا أن البيزنطيين لم يقصدوا الحمامات العامة فى حياتهم اليومية فقط، بل وفى المناسبات الخاصة أيضًا مثل الأعياد وحفلات الزواج والتى تتم غالبًا بعد استجمام العروس وتزيينها وارتدائها للملابس الزفاف البيضاء(٣٥).

هذا وقد اهتم الأباطرة بهذه الحمامات من حيث التقسيم والتنظيم والترتيب، وقاموا برصف أرضيتها بالبلاط وتزيينها بالزخارف ذات الألوان الجميلة(٣٦).

كان تزويد هذه الحمامات بالماء من الأمور المهمة التى حرص عليها أباطرة القسطنطينية ضمن تزويد المدينة بحاجتها من الماء، من خلال النهر الموجود بالعاصمة والذى كان ينبع من خارج الأراضى البيزنطية، وتحديدًا من الأراضى البلغارية فى شمال القسطنطينية، حيث انقسم إلى ثلاث قنوات داخل المدينة: قناة تجرى إلى القصر الإمبراطورى، وقناة إلى السجون الإمبراطورية، وتجرى القناة الثالثة إلى الحمامات، فيذكر هارون بن يحيى(٣٧): "والقسطنطينية قناة ماء يدخل إليها من بلد يقال له بلغراد(٣٨) يجرى إليها هذا النهر مسيرة عشرين يومًا، فينقسم إذا دخل المدينة ثلاثة أثلاث فثلث يذهب إلى دار الملك، وثلث يذهب إلى حبوس المسلمين، والثلث الثالث يذهب إلى

حمامات البطارقة، وسائر أهل المدينة فأنهم يشربون الماء الذى بين العذب والمالح"(٣٩). وهو يعنى أن العامة من أهل العاصمة اعتمدوا فى شربهم على المياه الجوفية، وهذا ما يؤكده ليودبراند أسقف كريمونا Liutprand of Cremona(٤٠) فى زيارته للعاصمة البيزنطية عام ٩٦٨م، فقد ذكر أن مياه العاصمة كانت تشبه مياه الحمامات، وهو يقصد بذلك مياه العيون والآبار(٤١).

وهكذا يتم تغذية المدينة والحمامات بالمياه عن طريق تلك القنوات والمجارى المائية؛ ونظرًا لأنه كان فى مقدور أى عدو أن يدمر هذه القنوات والمجارى المائية خاصة فى وقت الحرب فقد أقيمت فى جوف الأرض صهاريج للماء داخل حدود المدينة. وقد بنى جستنيان الأول **Justinian I** (٥٢٧-٥٦٥م)(٤٢) عددًا من هذه الصهاريج، وأحدها هو المعروف "**بقصر المياه**" وهذا الصهريج عبارة عن بهو شيد تحت سطح الأرض، وقام سقفه على عدد كبير من الأعمدة انتظمت فى صفوف(٤٣).

وعن هذا الصهريج يذكر هارون بن يحيى :"**إنه كان هناك جرن محفور من رخام ... عقد على قبة من رصاص .. وبالقرب من هذه القبة على مائتى خطوة صهريج قد أجرى منه الماء**"(٤٤).

هذا كما وجدت صهاريج أيضًا داخل الأديرة لتغذيتها والحمامات والمياه، حيث تحدثنا الإمبراطورة ايرينى ديوكاينا Doukaina(٤٥) عن موارد المياه داخل أحد هذه الأديرة وهو دير كيشاريتمونى(٤٦) حيث تقول أن المياه تتدفق إلى الدير من خلال تسعة وعشرين خزانًا، واثنين من صهاريج المياه(٤٧).

أما عن عملية تسخين المياه فقد كان الماء يسخن في مرجل من البرونز يوضع على فرن من الحديد أو من الحجارة غير قابلة للاشتعال، وكان الماء ينساب إلى المغطس من حوض يشبه برميل يحتوى على ماء دافئ عن طريق ماسورة تنتهي على شكل رأس آدمية أو رأس حيوان. وكانت الحمامات تتضمن كذلك أحواض سباحة ساخنة أو باردة يمكن الاستحمام فيها وهذا النظام بدأ العمل به من عصر جستنيان **Justinian I** وظل معمولاً به حتى القرن العاشر الميلادى إلا أنه بدأ في التلاشي بعد ذلك(٤٨).

وقد بلغ من تفنن الناس آنذاك وتأنقهم فى تطوير أدوات النظافة، أنهم صنعوا الصابون على اختلاف أشكاله وألوانه ورائحته، حيث كانوا يستخدمون مواد ذات ألوان معينة فى صنع الصابون، فظهر الصابون الأحمر أو الوردى أو الأصفر أو الأزرق أو الأخضر، كما كانوا يضيفون إليه بعض الروائح العطرية(٤٩).

وكان لصناعة الصابون أهمية كبيرة فى المجتمع البيزنطى، وانتج منه عدة أنواع، منها ما عرف باسم "**الصابون الغالى**" Gallikon Saponion وكان للسائل القلوى الذى يستخدم فى صناعة الصابون أهمية كبيرة، فمنع والى المدينة صناع الصابون من بيعه إلى أشخاص أخرين حتى لا يستخدمونه فى الإضرار بالأخرين باعتباره مادة كاوية(٥٠) ولصناعته كان يستخدم زيت الزيتون ودهن الحيوانات(٥١)، وبيع الصابون بالميزان وليس بالقطعة(٥٢).

بالإضافة إلى ذلك فقد عرف أهل بيزنطة التطيب، فاستخدموا الزيوت العطرية مثل "الميعة"(٥٣) و"المصطكى"(٥٤) على نحو ما يذكر ابن الفقيه(٥٥).

إدارة الحمام والإشراف عليه

كان طبيعيًا أن الحمامات البيزنطية بحاجة إلى إدارة وإشراف حتى تتمكن أن تؤدى خدمة لروادها من كلا الجنسين فهذه الحمامات بحاجة إلى موظفين ليقدموا خدمات للزائرين، فكان لكل حمام مشرف يقوم على إدارة أمور الحمام، من حيث مستلزمات الحمام ومراقبة الموظفين العاملين بهذا الحمام(٥٦).

كذلك مارست المرأة البيزنطية مهنة الإشراف على حمامات النساء العامة(٥٧). وإن كان بعض الكتاب المسيحيين الأوائل هاجموا بعنف المخاطر المترتبة على استخدام النساء للحمامات العامة، ولعل هذا ما دفع بعض الباحثين المحدثين إلى القول بإن هذه الحمامات اختفت بصورة تامة مع بداية القرن التاسع الميلادى(٥٨).

إلا أن هناك إشارات عديدة وردت في بعض سير القديسين والقديسات(٥٩) تشير إلى أن النساء واصلن استخدام الحمامات العامة بعد القرن التاسع الميلادى، حيث تحدثنا سيرة القديسة ثيودورا السالونيكية في القرن التاسع الميلادى عن فتاة مريضة استخدمت الحمامات العامة للعلاج من مرض الجدري، كذلك تحدثنا سيرة القديسين الثلاثة عن تردد أمهم كونستانتو Konstanto على الحمامات العامة وقت حملها في ابنها الأكبر(٦٠).

وتيبيكون الإمبراطورة إيرينى ديوكاينا لدير كيشاريتمونى للراهبات بالقسطنطينية، يشير إلى عدد من الحمامات العامة التابعة للدير، وربما كان من بين هذه الحمامات ما هو خاص بالنساء، وفى هذه الحالة لابد وأن القائمات

عليها كن من النساء[٦١]. وكانت إيرينى قد خصصت هذه الحمامات للنسوة الأرستقراطيات ليتمكن من العيش برفاهية[٦٢].

أما الحمامات التى كانت خارج الدير وتابعه له، فكان يشرف عليها وكيل الدير وهو رجل خصى وله مساعد ينظم عمل الرجال الآخرين[٦٣]. ويشترط فيهم أن يكونوا خصيين، وأن يكونوا ذو سمعة حسنة، وخبرة وكفاءة فى الاقتصاد، والفقه، وهؤلاء يعملون خارج الدير فلا يستطيعون دخوله[٦٤].

ومن القائمين على الحمامات فى الدير أيضًا أمناء الصندوق، وهن نسوة يكن مسئولات عن المواد اللازمة للحمام[٦٥]. وكانت هذه الحمامات العمومية خاصة الحمامات الصحية تؤجر، وهى مصدر دخل اعتمد عليها الدير[٦٦].

هذا بالإضافة إلى قيامهن بعمل مثل أهمية قصوى في مجتمع محافظ مثل المجتمع البيزنطي، ألا وهو حراسة ومرافقة الفتيات والنساء الارستقراطيات عند خروجهن من منازلهن لتأدية أي غرض من الأغراض، فأسرة الفتاة ثيوفانو Theophano[٦٧]- زوجة ليو السادس Leo VI المستقبلية(٨٨٦-٩١٢م)[٦٨] - كانت حريصة على أن ترافقها عدد من الخادمات وقت خروجها من المنزل للذهاب إلى الحمام العام[٦٩]. عمل أيضًا بعض الرهبان داخل الأديرة كمشرفين على الحمام[٧٠].

أما بالنسبة للأجرة التى كان يتقضاها القائمين على الحمام من المرتادين للحمامات فكانت تؤخذ إما عينية أو نقدية[٧١]، أو فى هيئة نذور[٧٢].

أما عن دير بانتوكراتورس Pantokratoros والذى تم تأسيسه فى الفترة ما بين ١١١٨-١١٢٦م، فى عهد الإمبراطور يوحنا كومنينوس (١١١٨-

١١٤٣م) بإيحاء من الامبراطورة إيرينى الهنغارية بيروسنكا التى جاءت إلى القسطنطينية فى عام ١١٠٥م(٧٣) وتزوجت من يوحنا كومنينوس، وفى أثناء فترة حكم زوجها تميزت بالبساطة والتواضع الشديد، وحبها للفقراء والمحتاجين. وقد أنشأ هذا الدير للراحة والاستجمام للراهبات والمرضى لاستكمال شفائهم(٧٤).

وفى هذا الدير سمح الإمبراطور للراهبات بالاستحمام مرتين فى الشهر ما عدا فترات الصوم التى سمح بالاستحمام فيها مرة واحدة فقط فى الشهر، وكذلك بالنسبة للرهبان المرضى، يستحمون مرتين فى الشهر فى المستشفى، ويسمح للبعض أيضًا بالاستحمام مرتين فى الأسبوع لهؤلاء المرضى، إذا كان ذلك بناء على أوامر الطبيب الذى يرى أن ذلك من أصول الشفاء(٧٥)، أما المسنون فكانوا يستحمون فى دار المسنين الملحق بالدير، وكان مدير هذه الدار يتم اختياره من بين رهبان الدير بمساعدة ست من الممرضين(٧٦).

أما عملية الإشراف على المستحمين فتتم من خلال ادخال المستحم إلى مكان مرخم به ثلاث مصاطب مكسوة بالرخام، حيث يستريح طالب الاستحمام ومن هذا المكان ينتقل المستحم إلى إحدى الغرف الدافئة حيث يترك ملابسه، ثم يضع حول وسطه فوطة تصل إلى الركبتين، بعدها ينتقل إلى الغرفة الرئيسية المعروفة ببيت الحرارة، وبتلك الغرفة أربعة أحوض كبيرة من الحجر، وبها أيضًا خلوتان، وفى هذه الغرفة الرئيسية يقوم عامل الحمام بتدليك جسد المستحم بالماء الساخن، وبعد تمام الاستحمام يجفف المستحم جسده بالمناشف ثم يذهب للعامل(٧٧) الذى يزيل عنه الشعر من بعض المواضع عند الضرورة،

ثم ينصرف المستحم إلى أول الغرف الدافئة حيث يظل بها بعض الوقت، فلا يغادر الحمام مباشرة معرضًا نفسه للهواء البارد(٧٨).

وقد بلغ حد الاعتقاد بتنظيف الأجسام في الحمامات المزودة بالماء البارد والحار مبلغًا عظيمًا يشمل الاستحمام وإزالة الشعر وتقليم الأظافر والحرص على إزالة ما يترتب عليها أو يتخللها من الشوائب مستخدمين في ذلك الأدوات الدقيقة والمواد المطهرة والمعطرة(٧٩).

كما كانت قاعات الحمام تسخن إما عن طريق إيقاد النار داخل الحمامات، أو يجرى الماء البارد أو الساخن في أنابيب داخل حجرات الحمامات الذى يتوفر به الماء البارد والحار(٨٠)، وكان الوقود في معظمه من الزبل اليابس(٨١). أما بالنسبة للنساء فقد خصص لهن حمامات خاصة كما سبق الذكر، وفي هذه الحمامات اعتادت النساء أن يجتمعن ببعضهن يتناقلن الأخبار ويقصصن على بعضهن كثير من أخبارهن وحياتهن المنزلية(٨٢). وفي بعض الأحيان كان النساء يذهبن إلى الحمامات العامة ويجتمعن هناك ويأخذن الضحك والمرح كنوع من ألوان الترفية وإدخال السرور والبهجة عليهن(٨٣) لهذا عاب البعض على استخدام النساء للحمامات العامة(٨٤).

ملكية الحمام وتمويله:

هناك نوعان من الملكية، الملكية العامة، وأغلب هذه الحمامات من بناء الأباطرة والنبلاء الأرستقراطيين، حيث يقومون بوقفها على بعض المؤسسات الدينية أو التعليمية أو غيرها فينتفع بها عامة الشعب البيزنطى(٨٥).

ويبدو أن الدولة أخذت الضريبة من الحمامات، وقد اختلفت الضريبة من حمام لأخر حسب دخل كل منها، غير أن المصادر لم تحدد تلك القيمة المفروضة.

أما النوع الثانى من الحمامات فكان ملكية خاصة فى قصور الأباطرة أو الطبقة الأرستقراطية أو كما فى الأديرة _ وكان الحمام على اعتبار أنه أحد ممتلكات الدير يقدم عادة إلى شخص علمانى كهبة مشروطة، بحيث يصبح له حق ملكية الانتفاع فقط، وهذا الشخص مكلف بالإشراف والإدارة وتمويل مبانيه وأفراد جماعته ماليًا، وفى مقابل ذلك يتلقى حق الانتفاع من الهبة بأخذ الفائض من موارد دخل الحمام –(٨٦). أو أن يظل الحمام–أحد ممتلكات الدير– تحت وإدارة أفراد الأسرة الإمبراطورية مثل حالة تيبيكون كيشاريتومينى Kecharitomeneالتى كانت حريصة على أن تظل ملكية الدير بما فيه من حمامات بين أفراد أسرتها الإناث، أوتؤول إلى أحد الذكور فى حالة عدم وجود أنثى(٨٧).

الخاتمة

خلاصة القول:

– إن الحمامات فى بيزنطة غدت أحد روافد المؤسسات الاجتماعية فى الحضارة البيزنطية.

– تفنن الأباطرة والنبلاء فى اضفاء طابع الفخامة والأبهة على عاصمتهم بما ضمته من منشأت وعمائر ومؤسسات وحمامات، بل وتنافسوا فى ذلك حتى بلغ عدد الحمامات فى بيزنطة حوالى أربعون ألفًا.

– تبين أيضًا أن النساء فى بيزنطة تنافسوا فى إقامة المنشأت والحمامات والتى تعود بالنفع والخير على المجتمع البيزنطى، ومثال ذلك الأميرة ثيودورا باليولوجينا.

– إن دراسة الحمام – بما هو منشأة وفضاء – من شأنها أن تفتح أمام الباحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي آفاقًا جديدة من آفاق البحث، خاصة في مواضيع لها صلة وثيقة بهذا الفضاء كالبحث في أصول بعض المواد التجميلية الطبيعية والاصطناعية والصناعات التي كانت رائجة وقائمة مثل صناعة الصابون الملون والمعطر والتى كانت من لوازم النظافة فى ذلك الوقت الأمر الذي يعطي فكرة عن مدى ما وصلت إليه المدن البيزنطية من رقي في مجال التطور العلمي والحضاري.

– اتضح من البحث أنه عند انشاء الحمامات العامة قد أخذ فى الاعتبار قربها من التجمعات السكانية فى بيزنطة سواء أكانت فى وسط المدينة أو شرقها أو حتى بالقرب من الأسواق؛ لتلبى حاجة الناس من الاستحمام.والاهتمام بمثل

هذه المنشآت الاجتماعية وما يرتبط بها من تقاليد وعادات تعتبر قاسمًا مشتركًا بين مدن بيزنطة لينهض دليلا على وجود وحدة ثقافية تشمل مختلف المدن البيزنطية

- تبين أيضًا وجود عدد من الحمامات العامة داخل الخانات والمستشفيات والأديرة أو بالقرب منها.

- اهتم أهل بيزنطة أيضًا بانشاء الحمامات الصحية والتى ارتبطت بصحة الناس على الينابيع الكبريتية الحارة حيث اعتبروها من وسائل الاستشفاء.

- جاء حمام زيوكيبوس وحمام قسطنطين من أشهر الحمامات العامة فى بيزنطة وربما ذلك لقدمهما عن غيرها من الحمامات وكثرة استخدامهما.

- كان من عوامل انتشار الحمامات العامة فى القسطنطينة وكثرتها، وفرة المياه سواء تلك التى تأتى من خلال النهر الذى ينبع من بلغراد أو من خلال الآبار والعيون.

- اتضح كذلك التناقض الواضح بين حب البيزنطيين للنظافة وبين دعوة بعض رجال الدين للتقشف فى استخدام الحمامات العامة.

- تبين أنه قد وجد نوعان من الحمامات الأولى للرجال والثانية للنساء.

- ظهر كذلك فى انشاء الحمامات أنها لم تأخذ شكلاً عشوائيًا فى بناءها، بل صممت بأشكال هندسية رائعة، وتم تزيينها بالرسوم والزخارف، على نفس نمط الحمامات الرومانية.

– تبين أيضًا أن هذه الحمامات قد وضعت تحت إشراف وإدارة من قبل موظفين عرفوا بالسمعة الطيبة والسيرة الحسنة سواء أكانوا من الرجال أو النساء.

– وضح أن هذه الحمامات كانت تدر دخلاً طيبًا للقائمين عليها، خاصة تلك الملحقة بالأديرة، وكانت تؤخذ فى صورة عينية أو نقدية أو على هيئة نذور.

– تبين أيضًا أن الذهاب للحمامات العامة لم يكن للنظافة أو لمعالجة الأدران فقط، بل أنها أصبحت نوعًا من التسلية ولون من ألوان الترف، وقص الحكايات، ومعرفة الأخبار.

– ظهر من خلال البحث أن هناك نوعان من الملكية لتلك الحمامات، الملكية العامة من بناء الأباطرة والنبلاء ومن ثم وقفها على المؤسسات التعليمية أو الدينية وغيرها، مع فرض ضرائب عليها، وملكية خاصة كما فى الأديرة، حيث تخضع لإدارة مالكها من أفراد الأسرة الإمبراطورية كما فى حالة الإمبراطورة إيرينى ديوكاينا.

الملاحق

ملحق (١)

شكل (١) خريطة تصوّر معالم الحي الإمبراطوري البيزنطي في القسطنطينية، تظهر في الخارطة حمامات زيوكسيبوس Zeuxipps وبعض صهاريج المياه.

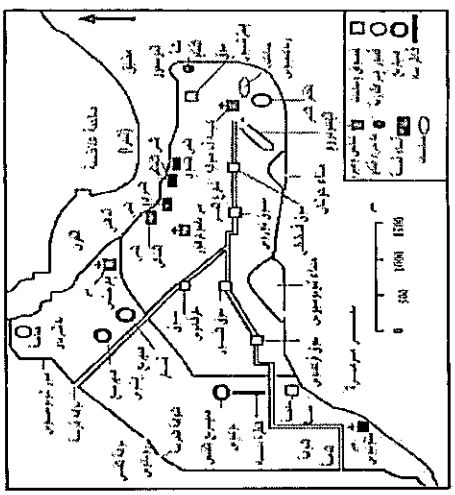

وخريطة الأساس نقلاً عن:

Obolensky (D.); The Byzantine Commonwealth eastern Europe 500-1453 (London, 1971).fig.2,p.14.

ملحق (٢)

صور لبعض الحمامات البيزنطية من الخارج والداخل

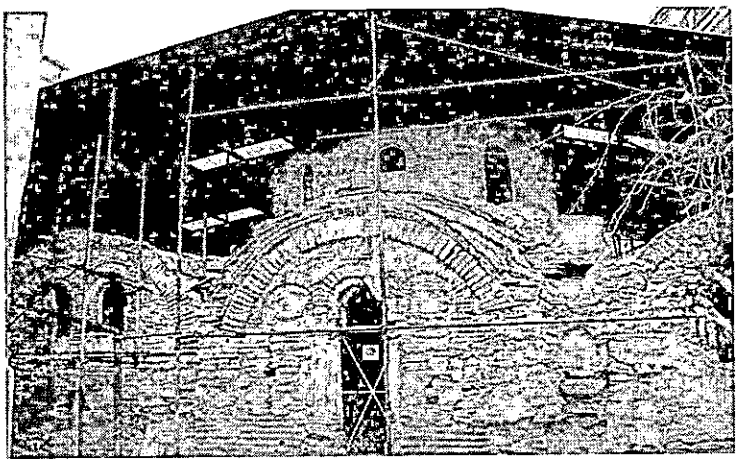

لوحة (١) صورة للحمام البيزنطى من الخارج.

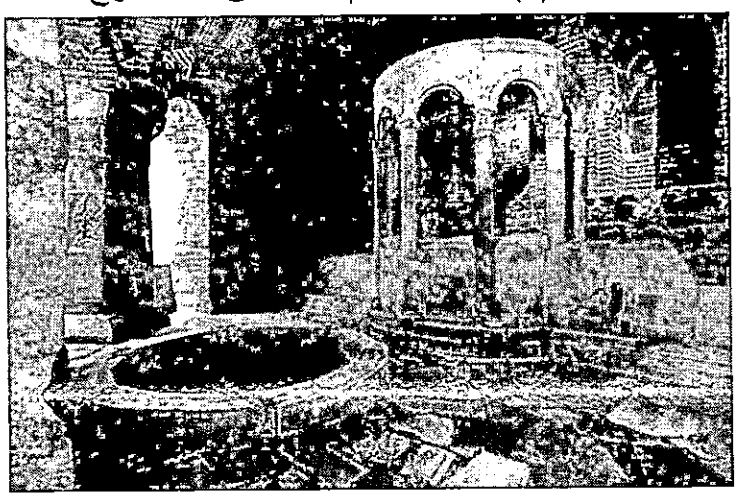

لوحة (٢) صورة للحمام البيزنطى من الداخل (الغرفة الدافئة).

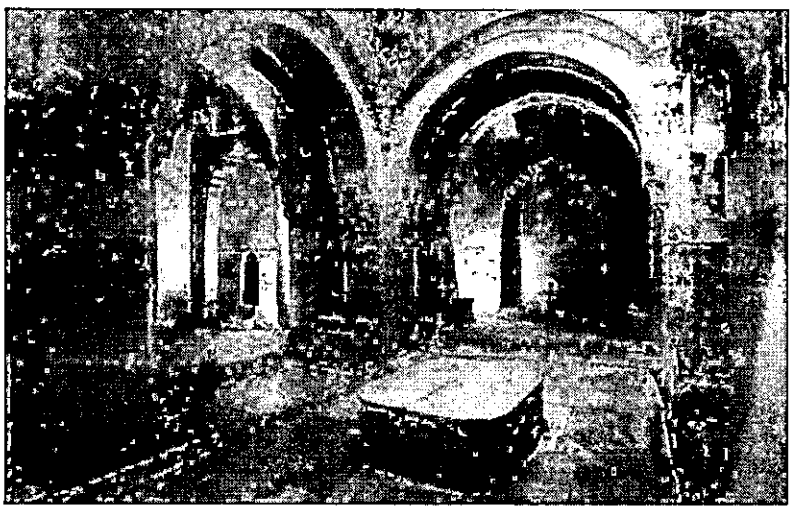

لوحة (٣) صورة أخرى للحمام البيزنطى من الداخل (الغرفة الدافئة).

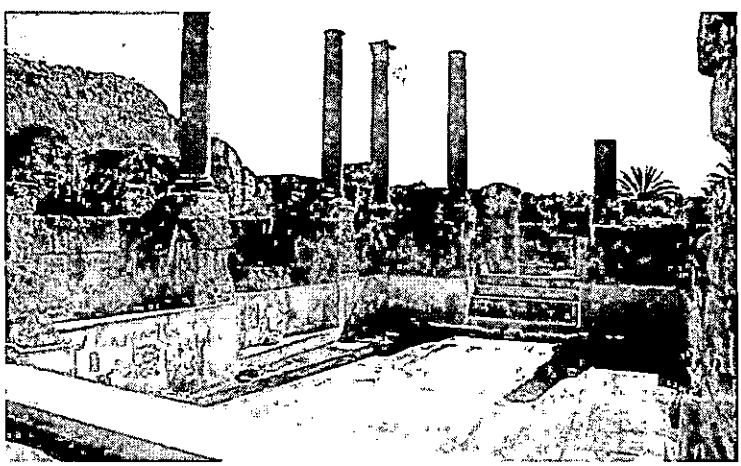

لوحة (٤) صورة أخرى للحمام البيزنطى من الداخل (فارغًا من المياه).

لوحة (٥) صورة للحمام البيزنطى من الداخل (مكان الاستقبال).

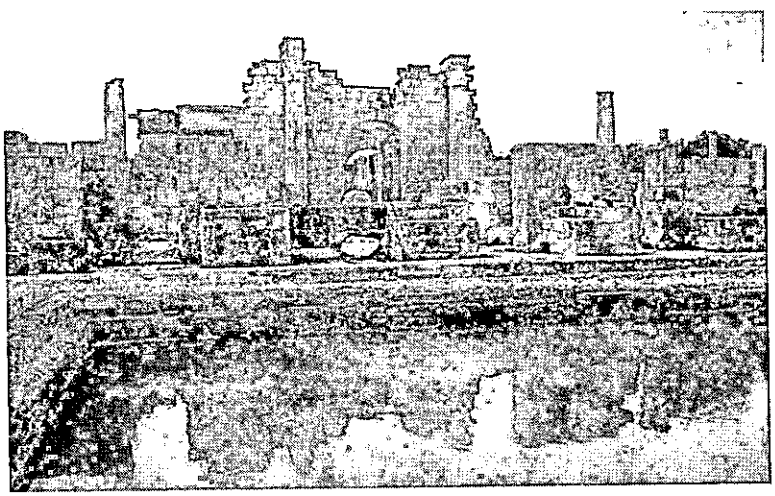

لوحة (٦) صورة أخرى للحمام البيزنطى من الداخل يتضح فيه التشابة مع الحمامات الرومانية.

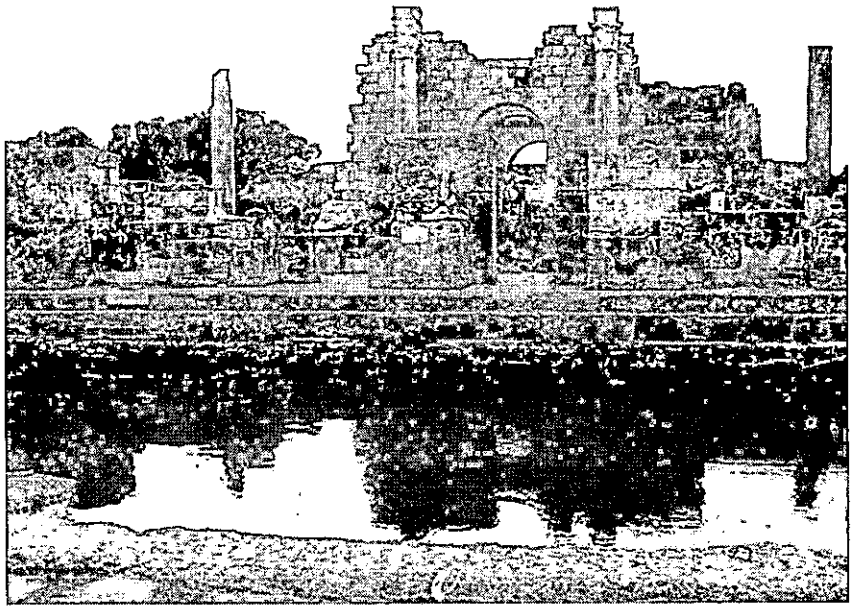

لوحة (٧) صورة أخرى للحمام البيزنطى من الداخل يتضح فيه التشابة مع الحمامات الرومانية.

الحواشي السفلية :

(١) محمد سليمان الروسان: تطور الحمام في بلاد الشام في العصر الإسلامي المبكر في ضوء المصادر التاريخية والمستجدات من الاكتشافات الأثرية ، رسالة ماجستير – غير منشورة – جامعة اليرموك ، كلية الآثار والإنثروبولوجيا ، إربد ١٩٨٩م ، ص ٧٥.

(2) Benkheira, M.-H. (2003), « La Maison de Satan, Le hammam en débat dans l'islam médiéval », in Revue de l'histoire des religions, 220, 4/, p. 391-443

(٣) ابن منظور، لسان اللسان ، تهذيب لسان العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٣م، ص ٢٩٤؛ نعمية الحضري، الحمام العمومي المغربي تاريخ وتخطيط ، مجلة بصمات ، ع٦، جامعة الحسن الثاني المحمدية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب ٢٠١٥م، ص١٠٣.

(٤) الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٥م، ص ٦٦.

(٥) ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٨٨٥م ، ٨٨/٦.

(٦) نعمية الحضري، مرجع سابق ، ص ١٠٤؛ محمد بن حمو، "خصائص الحمامات العثمانية فى الجزائر من خلال نماذج مقارنة بالحمامات المرابطية والمرينية" بحث منشور بمجلة كان التاريخية، الكويت، السنة السادسة، العدد العشرون، يونيو ٢٠١٣م، ص ٣١.

(7) Hussey.J.,The Byzantine world (London, 1967), p. 132.

عفاف سيد صبره، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٢م)، ص ٢١١ ، ٢١٢.

(٨) ابن كثير، (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقى، ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)، البداية النهاية، ١٤ج، تحقيق، أحمد أبو ملحم أخرون (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)، ج١٣، ص ٣٦٠.

(٩) نفسه.

(١٠) ابن بطوطة: (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجى، ت: ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (بيروت: دار التراث العربى، ١٩٦٨م)، ص ٥٨.

(١١) بلغ عدد سكان القسطنطينية عند القرن الخامس الميلادى حوالى مليون نسمة تقريبًا، وقد ظل هذا العدد حتى الفتح اللاتينى ١٢٠٤م، ثم أخذ فى التناقص بسرعة بعد هذا التاريخ، حتى أصبح أقل من مائة ألف نسمة بكثير فى ١٤٥٣م. أنظر: ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة، عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م)، ص ٢١٩. وعن أعداد سكان القسطنطينة. أنظر: History, 284-813 A.D., trans. C. Mango & R. Scott, Oxford, 1997., pp. 667-668.

(١٢) من أسواق بيزنطة سوق قسطنطين الملاصق للقصر الإمبراطورى، وسوق ثيودسيوس الأكبر منه اتساعًا، وسوق الثور وسوق أركاديوس. أنظر:

Dark, K. R., "Houses, streets and shops in Byzantine Constantinople from the fifth to the twelfth Centuries", Journal of Medieval History, vol. 30, (Cambridge University Press, 2004), pp. 83-107.

؛ ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ٢٢١.

(١٣) ابن خلدون، (عبد الرحمن بن محمد، ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، المقدمة، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربى، بدون تاريخ، ص ٣٧٧.

(١٤) Gilles, P., Topography of Constantinople and its Antiquities: A new translation with commentary, trans. K. M. Byrd, Ph.D. Dissertation, Graduate School – New Brunswick Rutgers, The State University of New Jersey, 2002, 2,ch.7,p.279; 3, ch.9, pp.415-416.

(١٥) الهروى، (أبو الحسن على بن أبى بكر، ت: ٦١١هـ/١٢١٤م)، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، نشر وتحقيق، جانين سورديل- طومين دمشق، ١٩٥٣م، ص ٥٨. وأنظر كذلك: الشيزرى، (عبد الرحمن بن نصر، ت: ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق ومراجعة، السيد الباز العرينى (بيروت: دار الثقافة، ١٩٨١م) ط٢، ص ٨٦.

(١٦) نفسه.

(١٧) المقدسى، (المطهر بن طاهر المقدسى، ت: حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى/ منتصف القرن العاشر الميلادى)، البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسى المنسوب تأليفه لأبى زيد أحمد بن سهل البلخى (القاهرة، د. ت)، ج٤، ص ٦٨.

(١٨) Gilles, P., Topography of Constantinople, 2,ch.7,p.279; 3, ch.9, pp.415-416.

(١٩) حمامات زيوكسيبوس Zeuxipps (باليونانية: Λουτρά Ζευξίππου): كانت حمامات عامة شعبيّة في مدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية. تم بناؤها ما بين الأعوام ١٠٠ إلى ٢٠٠ للميلاد، ودمرت خلال ثورة نيقيا سنة٥٣٢م، ثم أعيد بناؤها بعد عدة سنوات. سميت بذلك لأنها بنيت على الموقع حيث كان معبد جوبيتر(زيوس) حيث تم بناؤها حوالي ٥٠٠

ياردة إلى الجنوب من الحمامات القديمة في أكروبوليس اليوناني. وقد عثرت الحفريات على موقع الحمامات في عام ١٩٢٨م. أنظر:

Tourta. A.E., Wandering in Byzantine Thessaloniki, Kapon Editions, 1997,pp.87-88.

(٢٠) قسطنطين Constantine: هو فلافيوس فاليريوس كونستانتيتوس خلوروس وهيلينا، وقد ذكرته المصادر العربية باسم قسطنطين بن قسطنس، ويعرف بأمه هيلانى وإليها ينسب. من أعماله اعترافه بالديانة المسيحية، وتأسيسه لمدينة القسطنطينية عام ٣٣٠م. وافته المنية على مقربة من نيقوميديا يوم ٢٢ مايو ٣٣٧م. عنه أنظر: القزوينى، "زكريا بن محمد، ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م"، كتاب آثار البلاد وأخبار العباد (جوتين: ١٨٤٨م)، ص ٤٠٦؛ أ.دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة وتعليق، حسن حبشى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م)، ص ١٣٠– ١٣٢؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، "القسطنطينية فى ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين" بحث منشور بمجلة المؤرخ المصرى، قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة القاهرة،، العدد الثالث يناير ١٩٨٩م، ص ١٥٨؛ حسنين محمد ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية (القاهرة: ١٩٨٣م)، ص ٢٦.

(٢١) Bréhier, L., Les institutions de l'empire byzantine, Paris, 1949,p.8,59.

؛ عفاف سيد صبره، الإمبراطوريتان، ص ٢١٢ –٢١٣.

أما عن قنطرة فالنز: فهى قنطرة نسبت إلى فالنز ٣٦٤–٣٧٨م أحد الذين حكموا القسم الشرقى من الإمبراطورية الرومانية وعاصمته القسطنطينية مشاركًا لأخيه فالنتنيان Valintiyan الذى تولى حكم القسم الغربى من الإمبراطورية الرومانية. وقد انتهى عصر فالنز بعد هزيمته وجيشه فى معركة أدريانوبل فى تراقيا على يد القوط الغربيين عام ٣٧٨م. أنظر: أ. دونالد نيكول، معجم

التراجم البيزنطية، ترجمة وتعليق، حسن حبشى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م)، ص ١٢٧-١٢٨.

(22) Kecharitomene, Typikon of Empress Irene Doukaina Komnene for the Convent of the Mother of God Kecharitomene in Constantinople, trans. R. Jordan, Byzantine Monastic Foundation Documents. A complete Translation of the Surviving Founders Typika and Testaments, ed .J. Thomas & A. C. Hero, 5 vols., Washington, D.C., 2000., vol. 2,ch.79,p. 707.

(23) Anargyroi, Typikon of Theodora Palaiologina for the Convent of Sts. Kosmas and Damian in Constantinoplem Trans.A.M. Talbot, Byzantine Monastic Foundation Documents. A complete Translation of the Surviving Founders Typika and Testaments, ed .J. Thomas & A. C. Hero, 5 vols, Washington, D.C., 2000, vol.3, No.4,ch.4,p.1292.

والموديوس وحدة وزن ومساحة، والموديوس البيزنطى= ٤٠ رطل من القمح. أما موديوس المساحة= ٨٨٨.٧٣ متر مربع = ٥ قراريط. أنظر:

Schilbach, E & Kazhdan, A., "Modios" Oxford Dictionary of Byzantium, 3 .vols., ed. A. Kažhdan & al., Oxford, New York, 1991, vol. 2,p.1388.

(24) Evergetis, Typikon of Timothy for the Monastery of the Mother of God Evergetis, trans. R. Jordan, BMFD, vol. 2, ch. 28, p.491; Phoberos, Rule of John for the Monastery of St. John the Forerunner of Phoberos, trans. R. Jordan, BMFD, vol. 3, ch.46,p. 925.

(٢٥) Evergetis, Typikon of Timothy for the Monastery of the Mother of God Evergetis, trans. R. Jordan, BMFD, vol. 2, no. 22, ch. 28, p.491;

Phoberos, Rule of John for the Monastery of St. John the Forerunner of Phoberos, trans. R. Jordan, BMFD, vol. 3, no. 30,, ch.46,p. 925.

(٢٦) Bréhier, L., Les institutions,p.8,59.

؛ عفاف سيد صبره، الإمبراطوريتان، ص ٢١٢ -٢١٣.

(٢٧) Hussey.J.,op.cit, p. 132.

؛ عفاف سيد صبره، الإمبراطوريتان، ص ٢١١ ، ٢١٢.

(٢٨) Life of Sts. David, Symeon, and Gregory of Lesbos, trans. D. D. Forasté, Byzantine Defenders of Images: Eight Saints ' Lives in English Translation, ed. A. M. Talbot, BSLT, vol. 2, Washington, D.C., 1998., ch.97, p.841.

(٢٩) Kosmosoteira, Typikon of the Sebastokrator Isaac Komnenos for the Monastery of the Mother of God Kosmosoteira near Bera, trans. N. P. Ševčenko, BMFD, vol. 2, ch.97,p.841.

كان دير ليبس Lips للنساء بالقسطنطينية لا يسمح لراهباته بالاستحمام أكثر من أربع مرات سنويًا، ولكنه لم يحدد عدد مرات الاستحمام المسموح بها لمرضاه، وربطها برأى الطبيب المعالج لهؤلاء المريضات. أنظر:

Lips; Typikon of Theodora Palaiologina for the Convent of Lips in Constantinople, Trans, A.M. Talbot, BMFD, Vol.3, No.39, ch.50, p.1281.

(٣٠) Evergetis; Typikon, ch. 28, p.491; Phoberos, Rule, ch.46,p. 925; Pantokrator; Typikon of Emperor John II Komnenos for the Monastery of Christ Pantokrator in Constantinople, trans. R. Jordan, BMFD, vol. 2, ch.46, p.760; Kosmosoteira; Typikon, ch.97,p.841.

(٣١) Life of Sts. David, Symeon, and Gregory of Lesbos, trans. D. D. Forasté, BDI, ch.3, p.153.

(٣٢) The Life of St. Theodora of Thessalnike, trans. A. M. Talbot, Holy Women of Byzantium, Ten Saints Lives in English Translation, ed. A. M. Talbot, BSLT, Vol. 1, Washington, D.C., 1996., p.235; Kosmosoteira, Typikon, ch.97,p.841.

(٣٣) روبرت كلارى، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين، ترجمها من الفرنسية القديمة وعلق عليها، حسن حبشى (القاهرة: ١٩٦٤م)، ف ١٦، ص ١٢٣؛ ف ٢٠٧، ص ١٣٩.

(٣٤) Bréhier, L., Les institutions,p. 59.

؛ عفاف سيد صبره، الإمبراطوريتان، ص ٢١٢.

(٣٥) Laiou, A.,:Consensus Facit Nuptias Et Non: Pope Nicholas I s Responsa to the Bulgarians as a Source for Byzantine Marriage Customs", Idem, Gender, Society and Economic Life in Byzantium, Aldershot, 1992,no. IV, pp.123-201, esp. 190,194-5; Meyendroff,j., "Christian Marriage in Byzantium: The Canonical and Liturgical Tradition", DOP 44(1990),PP.99-107.

وكذلك:

Schminck, A., "Marriage Crowns", ODP 2, P.1306; Taft,R.F.,& Kalavrezou,I., "Marriage Rite", Oxford Dictionary of Byzantium,. 3 vols., ed. A. Kažhdan & al., Oxford, New York, 1991., p.1306-7.

(٣٦) Bréhier, L., op.cit,p. 59.

؛ عفاف سيد صبره، الإمبراطوريتان، ص ٢١٢ -٢١٣.

(٣٧) هارون بن يحيى: هو أحد الجغرافيين المسلمين، كان قد وقع فى أسر جماعة من أهل أطاليا Attaleia بآسيا الصغرى، وساقوه إلى القسطنطينية، وقضى بها بعض الوقت، وقيل أنه وصل إليها فى عهد الإمبراطور البيزنطى باسيل الأول Basil I (٨٨٦-٨٦٧م)، وقيل فى عهد الإسكندر (٩١٢-٩١٣م)، وقد قدم هارون بن يحيى وصفًا طيبًا لمدينة القسطنطينية والقصر الإمبراطورى وكنيسة آيا صوفيا والاحتفالات الدينية وموكب الإمبراطور، وقد حفظ لنا رواية هارون بن يحيى هذه الجغرافى ابن رسته. أنظر: ابن رسته، (أبو على أحمد بن عمر، ت: بين عامى ٣١٠ و٣٣٧

هـ / ٩٢٢ و٩٤٨م)، كتاب الأعلاق النفيسة (ليدن: ١٨٩١م)، مج ٧، ص ١١٩-١٣٠. وعن هارون بن يحيى. أنظر أيضًا: طارق منصور محمد، "هارون بن يحيى مصدر من مصادر التاريخ البيزنطي"، بحث منشور بحولية كلية التربية للبنات بالطائف، عدد ٦ (١٤٢٥-١٤٢٦هـ)، ص ٥١.

Jean-Charles Ducéne; "Une deuxiéme version de la relation d,Hārūn ibn Yahyā sur Constantinople",Der Islam 82/2(2005),p.241-255.

(٣٨) بلغراد Belgrade: عاصمة يوغسلافيا، وهي مدينة صربية تقع على نهر الدانوب، وكانت تحت السيطرة الرومانية قبل أن يقوم الآفار Avars بتدميرها في القرن السادس الميلادي، وقد إحتلها البلغار في القرن العاشر الميلادي، والبيزنطيون في القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الميلاديين، وكانت من أهم معابر الجيوش الصليبية القادمة من الغرب الأوربي عبر الأراضي البلغارية . أنظر:

The Catholic Encyclopedia, vol. 2 (New york, 1907) P. 407;

Webester (M); Webester New geographical Dictionary (New York, 1972)., P. 131

؛ محمد موفاكو، تاريخ بلغراد الإسلامية (الكويت: مكتبة دار العروبة، ١٩٨٧م)، ط١، ص٩ وما يليها.

(٣٩) ابن رسته، كتاب الأعلاق النفيسة (ليدن: ١٨٩١م)، ص١٢٦؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، ص ١٢٧.

(٤٠) ليوتبراند أوف كريمونا Liutprand of Cremona: هو أسقف مدينة كريمونا القريبة من بافيا الإيطالية عام ٩٦١م، وقد عمل سفيرًا فى بلاط الإمبراطور الألمانى أوتو الأول أو العظيم

Otto I the great (٩٦٢-٩٧٣) من سنة (٩٣٦-٩٦٢م)، وولده وشريكه فى الحكم أوتو الثانى Otto II (٩٦٧-٩٧٣م)، وقد زار القسطنطينية كمبعوث من قبل الإمبراطور أوتو الأول Otto I ، وقد كتب تقريرًا عن سفارته تلك ضمن مشاهداته لمدينة القسطنطينية وأهلها والأوضاع التى عاشوا فيها، ورجال البلاط البيزنطى. لمزيد من التفاصيل أنظر:

Liutprand of Cremona: A Report of this Mission to Constantinople, 968 A.D,ed. And Trans by: Henderson Ernest F.,in: selected Historical Documents of the Middle Ages (London,1910), pp.440-477.

(٤١) ليوتبراند أسقف كرمونا، صفحة من العلاقات الدبلوماسية الألمانية البيزنطية، سفارة ليوتبراند أسقف كرمونا إلى القسطنطينية ٩٦٨م- دراسة تاريخية نقدية، ترجمة وتعليق، على أحمد محمد السيد (الإسكندرية: د.ت)، ص ٧٠.

(٤٢) جستنيان الأول Justinian I: اعتلى عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ٥٢٧م، وهو من مواليد سنة ٤٨٣م، وكان اسمه بيترس سباتيوس Petrus Sabbatius ثم جعله فلافيوس جستنيانوس Flavius Justinianus، وقد تبناه خاله الإمبراطور جستين الأول (٥١٨-٥٢٧م) والذى ما أن مات فى أغسطس سنة ٥٢٧م، حتى خلفه جستنيان الأول، ومن انجازاته استرداد ما فقدته امبراطوريته من ولايات غربية، وما أصدره من التشريعات القانونية وانشائه الحصون وتشييده الكنائس. عنه أنظر: أ.دونالد نيكول: مرجع سابق، ص ١٠٤-١٠٦؛ اسمت غنيم، إمبراطورية جستنيان (جدة: دار المجمع العلمى، ١٩٧٧م)، ص ١١ وما يليها.

(٤٣) ومن أشهر صهاريج المياه المكشوفة فى القسطنطينية صهريج آسبار Aspar (٢٤٤م×٨٥م)، وصهريج إيتيوس Aetius (١٥٢م×١٥٢م)، وصهريج موكيوس Mocius (١٧٠م×١٤٧م). أنظر:

Genesios, On the Reigns of the Emperors, trans. A. Kaldellis, BA, vol .11, Canberra, 1998,4,ch.8,p.77; Ciggaar, K.N., Western Travellers to Constantinople , The West and Byzantium 962- 1204: Cultural and Political Relations, London, 1996.p.64; Ebersolt, Jean, Constantinople Byzantine, et les Voyageurs du levant Paris,1918),p.23; Tamara,T.Rice, Byzantium,N.Y,1969, p.65. ؛ بريس ف.ن، القسطنطينية

فى عصر جستنيان" مقال بموسوعة تاريخ العالم، مج ٤، ترجمة، عبد الفتاح صدقى (القاهرة: د.ن)، ص ٣٢٧؛ وسام عبد العزيز فرج، دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية (الإسكندرية، ١٩٨١م)، ص ٨٧ .

(٤٤) ابن رسته، مصدر سابق، ص ١٢١-١٢٢؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية، ص ١٢٧-١٢٨.

(٤٥) إيرينى ديوكاينا: هي الإمبراطورة إيرين دوكينه Doukaina (دوكاس) كبرى بنات أندرونيكوس دوكاس وحفيدة القيصر يوحنا دوكاس، وكانت قد تزوجت من الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس الأول على غير هوى من أمها "أنا دالاسينه"، وتم تتويجها على يد البطريرك "كوسماس". Kosmas الأول سنة ١٠٨١م. وتحتل إيرين "دوكينه" أو دوكاس الصدارة في كتاب ألكسياد الذي وضعته ابنتها "أنا كومنينا"، والتي تصف زواج أمها بأنه كان حدثاً بهيجًا بعد سلسلة من العقبات والمتاعب. وقد رزقت إيرين دوكينه من الأولاد سبعة، فلما مات زوجها عام ١١١٨م ترهبت وأقامت في دير "ديوتوكس" بالقسطنطينية، وتشهد لها ابنتها أنا كومنينا التي كانت أشهر منها بأنها كانت امرأة مثقفة تشجع العلم، وتحترم الدين احترامًا عظيمًا، ولا تزال صورتها حتى اليوم في كنيسة القديس مرقص بالقسطنطينية. أنظر: أ. دونالد نيكول: المرجع السابق، ص٨٦ -٨٧.

(٤٦) تعنى كيشاريتمونى في اليونانية ممتلئة النعم، إمرأة صاحبة فضل، وهو ما يفسر مفهوم اختيار الله لمريم العذراء لكى تكون والدة السيد المسيح.

Nachef, A., Mary's pope: John Paul II, Mary, and the church since Vatican II,Roman&Littlefield, 2000, p. 52.

(٤٧) Diehl.Ch., Figures Byzantines (Paris, 1948), p.55.

؛ مصطفى محمود محمد محمد، نسوة العرش البيزنطي في عصر أسرة كومنينوس (١٠٨١ – ١١٨٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة- قسم التاريخ- كلية الآداب بقنا- جامعة جنوب الوادي، ٢٠١٢م، ص ١٨٦.

(٤٨) Bréhier, L., Les institutions de l'empire byzantine, Paris, 1949,p.8,59. ؛ عفاف سيد صبره، الإمبراطوريتان، ص ٢١٣.

(٤٩) ستانلى لين بول، سيرة القاهرة، ترجمة، حسن إبراهيم حسن وأخرون (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م)، ص ٢٢١.

(٥٠) ليو السادس: كتاب والي المدينة، ترجمة: السيد الباز العرينى، حولية كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ١٩، ج١، ١٩٥٧م، ك١٢، ف ٤-٧، ص ١٦٥.

(٥١) CF: Pantokrator, Typikon of Emperor John II Komnenos for the Monastery of Christ Pantokrator in Constantinople, trans. R. Jordan, BMFD, vol. 2, ch.49,p.761.

(٥٢) ليو السادس، كتاب والى المدينة، ك١٢، ف ٨-٩، ص ١٦٥.

(٥٣) الميعة: ضرب من العطر، والميعة صمغ يسيل من شجر ببلاد الروم يؤخذ فيطبخ فما صفا منه فهو الميعة السائلة، وما بقى منه فهو الميعة اليابسة. أنظر: ابن منظور، (محمد بن أبى العز المصرى، ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ج٤٨، ص ٤٣٠٩.

(٥٤) المصطكى: هو العلك الرومى. أنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤٧، ص ٤٢١٨.

(٥٥) ابن فقيه الهمذانى، (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى، ت: ٢٩٠هـ/٩٠٣م)، مختصر كتاب البلدان (ليدن، ١٣٠٢هـ)، ص ١٤٨.

(٥٦) Kecharitomene, p. 684.

(٥٧) Mango,C.,"Daily life in Byzantium", Jahrbuch der Österreichischen Byzantinistik, 31/2 (1981), pp.337-353, esp.339.

؛ عبد العزيز رمضان، المرأة، ص ٧٩، هامش ٣.

(٥٨) Mango,C., Daily life ,pp.337-353,esp.339.

؛ عبد العزيز رمضان، المرأة، ص ٧٩، هامش ٣.

(٥٩) هي وثائق تعبر عن القواعد واللوائح المنظمة للأديرة البيزنطية، وهى ثمينة في أغلب الأحيان؛ لأنها تحتوى على معلومات قيمة حول موضوعات مختلفة، كعلاقة الرهبان في الأديرة البيزنطية بالأباطرة والنبلاء الأرستقراطيين، والمؤسسات الخيرية التابعة للدير، وملكية الدير للأراضي والحيوانات والمباني، وأيضًا الطقوس الرهبانية، وطعام الرهبان وشرابهم، وأنواع الإضاءة المستعملة في ذلك الوقت، والملابس، والأحذية ومواقيت الصيام والاحتفالات بالأعياد. وقد

بدأ الاهتمام بجمع وثائق الأديرة البيزنطية منذ القرن السابع عشر الميلادي، ولكن العمل سار بطيئا حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، حيث صدر عدد من الترجمات إلى اللغات الحديثة لبعض الوثائق. وفى القرن العشرين قام عدد من الباحثين الفرنسيين على رأسهم لويس بيتى L.Petit وبول جوتييه P.Gautier بترجمة عدد من تلك الوثائق إلى اللغة الفرنسية، حتى قرر مركز الدمبارتون أوكس – Dumbarton Oaks Center التابع لجامعة هارفارد– القيام بجمع وثائق الأديرة البيزنطية، فخرجت طبعة في خمسة مجلدات مترجمة إلى اللغة الانجليزية عام ٢٠٠٠م، تحتوى على ٦١ وثيقة في ٢٠٢١ صفحة، وقد قام بتلك الترجمة أكثر من خمسة عشر متخصصًا في اللغة اليونانية الوسيطة. أنظر:

Talbot, A.M.,"Typikon, Monastic",in: The Oxford Dictionary of Byzantium ,ed.A.P.Kazhdan & als., 3vols., Oxford University press, Oxford–New York–Toronto, 1991, Vol,3,p.2132.

; Petit,L.,"Le Monastére de Notre–Dame de pitié en Macédonine",Izvestiia Russkago Archeologicheskago Instituta V Konstantinople,6 (1900),pp.1–153; Gautier.P.,"Le typikon du Christ Sauveur Pantocrator", Revue des Études Byzantine, (Paris, 1974) ,32,pp.1–145; Thomas.J.& Hero.A.C (eds.) ,Byzantine Monastic Foundation Documents, A complete Translation of the Surviving Founders Typika and Testaments, Vol.1, Washington, D.C., 2000,pp.2–13.

(٦٠) Life of St.Theodora of of Thessalonike,235; life of sts.David, Symeon, and George of Lesbos, trans.D.Domingo-Forasté,BDI,152.

؛ عبد العزيز، المرأة ، ص ٧٩، هامش ٣.

(٦١) Kecharitomene, ch.79:707.

؛ عبد العزيز، المرأة ، ص ٧٩ ، هامش ٣.

(٦٢) Laiou, A.,"Observations on the Life and Ideology of Byzantine Women", Byzantinische Zeitschrift,9,`985,pp.59,80,102.

؛ مصطفى محمود محمد، مرجع سابق، ص ١٧٩.

(٦٣) Lundy , E.C., Eirene Doukaina Byzantine Empress AD 1067-1133 M.A, of Arts, Ottawa, 1988, p.58.

؛ مصطفى محمود محمد، مرجع سابق ، ١٩٠

(٦٤) Lundy , E.C., Eirene,p.58.

؛ مصطفى محمود محمد، مرجع سابق ، ص ١٩٠.

(٦٥) Kecharitomene, p. 684.

؛ مصطفى محمود محمد، مرجع سابق، ص ١٩٢.

(٦٦) Kecharitomene, p. 684; Lundy , E.C., Eirene, p.55.

؛ مصطفى محمود محمد، مرجع سابق، ص ١٩٤.

(٦٧) ثيوفانوTheophano: زوجة الإمبراطور ليو السادس، كانت قد توفيت عام ٨٩٣م، وبعدها تزوج ليو من زوى التى توفيت عام ٨٩٦م، ثم ايدوكيا الفرنجية التى توفيت عام ٩٠٠م، ثم سعى ليو للزواج من الزوجة الرابعة. وقد أحدث هذا مشكلات بين الكنيسة والقصر. للمزيد أنظر: وسام عبد العزيز فرج، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس (الإسكندرية، ١٩٩١م)، ص ٣٥-١٤٢.

(٦٨) ليو السادس Leo VI: تولى عرش بيزنطة فى الفترة من ٨٨٦-٩١٢م، لقب بالحكيم، كان عصره يعج بإصلاحات إدارية واسعة خاصة فى القوانين المدنية والكنسية، ألف كتاب التكتيكا، وكتاب والى المدينة. عنه أنظر: S.Tougher, The Reign of Leo VI(886-912)(Leiden, New york, 1997),133-193.

(٦٩) Kazhdan , A ," Women at Home", Dumbarton Oaks Papers, Washington, D.C., 52,1998,pp.1-17.

؛ عبد العزيز رمضان، المرأة، ص ٨٢.

(٧٠) Pantokratoros p. 732.

؛ مصطفى محمود محمد، مرجع سابق، ص ١٩٩.

(٧١) Kecharitomene, p.772.

؛ مصطفى محمود محمد، مرجع سابق، ص ١٩٥.

(٧٢) Kosmosoteira, Typikon, ch.113,p.847.

(٧٣) Kinnamos, J., Deeds Of John and Manuel Comnenus , Trans . Ch M. Brand ,New York , 1976.,p.17

(٧٤) Kecharitomene, p.772.

؛ مصطفى محمود محمد، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٧٥) Pantokrator, Typikon of Emperor John II Komnenos for the Monastery of Christ Pantokrator in Constantinople, trans. R. Jordan,

BMFD, vol. 2, no. 28, ch.46,p.760; Kecharitomene, Typikon of Empress Irene Doukaina Komnene for the Convent of the Mother of God Kecharitomene in Constantinople, trans. R. Jordan, BMFD, vol. 2,ch.58,p.696; Kosmosoteira, Typikon of the Sebastokrator Isaac Komnenos for the Monastery of the Mother of God Kosmosoteira near Bera, trans. N. P. Ševčenko, BMFD, vol. 2,ch.70,p.831.

(٧٦) Kecharitomene, p.749.

؛ مصطفى محمود محمد، مرجع سابق، ص ٢٠١.

(٧٧) يقصد به الحلاق الذى يقوم بحلاقة الشعر وتهذيب الحية. عنه أنظر: ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشى، ت: ٧٢٩هـ/١٣٢٩م، معالم القربة فى أحكام الحسبة، (نشر: لينى كمبريدج، ١٩٧٣م)، ج٣، ص ١٥٦.

(٧٨) سعيد عبد الفتاح عاشور، "الحياة الاجتماعية فى الدولة الإسلامية" مقال منشور بكتابه: دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية العربية (الإسكندرية:دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م)، ، ص ٢٩٥، ٢٩٦.

(٧٩) ابن الأخوة، مصدر سابق، ص ١٥٧؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحياة الاجتماعية ص ، ٢٩٧.

(٨٠) البغدادى، عبد اللطيف البغدادى، الإفادة والاعتبار، تحقيق، أحمد غسان سبانو(دمشق: دار قتيبة، ١٩٨٣م)، ط١، ص ٦٩، ٧٠.

(٨١) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص ، ٢٩٦.

(٨٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق ص ، ٢٩٧.

(٨٣) السيد الباز العرينى، مصر فى عهد الأيوبيين (القاهرة: مطبعة الكيلانى، د.ت)، ص ٢١٣.

(٨٤) Mango,C., Daily life ,pp.337-353,esp.339.

(٨٥) هيوار، الحمام، دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير، إبراهيم ذكى خورشيد، أحمد الشنتناوى، وعبد الحميد يونس (القاهرة: مطابع دار الشعب، د.ت)، مج ٨، ص ٦٨.

(٨٦) فى حالة دير كيشاريتمونى كان للمشرف العام سلطة جمع مصادر دخل مبانيه والأراضى الموقوفة عليه وكذلك من بساتينه وحماماته العامة. عبد العزيز رمضان، المرأة، ص ٢٢٩ هامش ٤. وعن حق الانتفاع أنظر:

Charanis, P.,"The Monastic Properties and the State in the Byzantine Empire" Dumbarton Oaks Papers, Washington, D.C., 4, 1948, PP.53-118.

(٨٧) Kecharitomene,ch.79,pp.706-9.